

قُصُور بَغْدَاد ودُورُها في العَصْرِ العَبَّاسِي

خلال المدة (٢٢١-٥٣٩هـ/٨٣٦-١١٤٣م)

الدكتور/ عبد الكريم عبده حتاملة

جامعة مؤتة — قسم التاريخ

مؤتة — الكرك — الأردن

تعريف :

تهدف هذه الدراسة المتعلقة بقصور بغداد ودورها في العصر العباسي خلال المدة (٢٢١-٥٣٩هـ/٨٣٦-١١٤٣م) إلى:

— معرفة ما شهدت به بغداد وغيرها من المدن الإسلامية الأخرى أيام ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ونضوجها، بعدد كبير من القصور والبنائات الرائعة، والتميزة بزخرفتها وروعيتها .

— إبراز أهم الأبنية العمرانية التي أنجزت في تلك المدة ، والمتمثلة في طراز بناء : الحيري والكمين، الجعفرية، لؤلؤة، القصر الحسيني، قصر الثريا، الفردوس (الخلد) قصر التاج، الدار المعزية وغيرها

المقدمة :

يعد فن العمارة في العصر العباسي من أكثر الفنون علاقة وارتباطاً في البيئة وتأثيراً بها، ورغبة في ملاءمتها وحسن الإفادة من موادها المناسبة وتلبية للمتطلبات النفعية والجمالية لسكانها .

فقد استخدم الفنانون والصنّاع التقنيات المختلفة للمنشآت العمرانية والتي ورثوها من التجارب والممارسة المهنية ومن الخبرات الفنية التي أبدعتها أجيالهم، فابتكروا بدورهم قوالب ونماذج جميلة أسهمت جدياً في تجميل وتزيين روائع الفنون التطبيقية، بأجمل الزخارف المختلفة الجذابة، ونظراً لأهمية المادة المستخدمة في المنشآت العمرانية، فقد أدرك الفنانون والصنّاع أهمية المادة في إبداعهم، فاستخدموا مختلف المواد المتوفرة في بيئتهم والتي كان من أهمها : اللبن والآجر والجص والحجر .

ومن هنا عني العباسيون عناية تامة في الفن المعماري، فبنوا المدن التي امتلأت بالقصور والمساجد والمتنزهات والدور والأبنية المتنوعة والتي كان يتسابق في بنائها الخلفاء والأمراء والأثرياء ويتفننون في زخرفتها .

وتزايد الاهتمام والرغبة في إبداع الفن العمراني، واتخاذها أحد مظاهر التفوق الحضاري بالإضافة إلى ظهور التفاعل الفني والجمالي الناتج عن اتصال الصناعات والمهنة من العاملين في مناسبات كثيرة مثل الحج ورحلات القوافل التجارية وغيرها .

ونتيجة لهذا النضوج والإبداع في المنشآت العمرانية في العصر العباسي فقد كثر هذا الفن في بغداد، وغيرها من أمهات البلدان الإسلامية، وذلك أيام ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وأقيمت المدن التي امتلأت بالقصور الشاخنة، والدور الفخمة، والعمارات الواسعة .

فأولع الخلفاء العباسيون والأمراء والوزراء وغيرهم من كبار رجال الدولة ببناء القصور الفخمة المحلاة بالرسوم والزخارف من الداخل والخارج وعليها صور من الجص المجسم ثم زخارف القاشاني المختلفة الأنواع والأشكال .

كما كانت طبقاتها مغطاة بستور من الديباج مزينة بالرسوم الفارسية التي كانت من مميزات الفن الفارسي، حيث يظهر جلياً التأثير الفارسي في الفن الإسلامي عظيمًا في هذا البلد،

ومن الملاحظ أن الفن العمراني في هذه المدة والتي اتخذتها لكتابة هذا البحث المتواضع لم تلق نصيباً من البحث والتحليل، وإن وجدت لم تكن بصورة متكاملة ولم تتناول المنشآت العمرانية في العصور العباسية بشكل يعطيها حقها ويمكن الباحثين والقراء من الاطلاع على المعالم العمرانية آنذاك، نظراً لما لتلك

الفترة من تأثير واضح في النماذج العمرانية والتي تركت طابعاً عمرانياً مؤثراً في الحقب والفترات الزمنية المتعاقبة .

ومن قبل الإنصاف أحسست بنفسني كباحث أنه لابد لي أن أتطرق إلى وافي هذه الفترة حقها تاريخياً وذلك من خلال التطرق إلى الطرز والمنشآت العمرانية الباهرة التي أنشئت أيام الخلفاء العباسيين في تلك المدة الزمنية والتغيرات التي طرات عليها، إضافة إلى الخلفاء والوزراء والحكام والأثرياء الذين شيدها وبنوها آنذاك .

الخليفة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤٢م) :

عُرِفَ عن الخليفة العباسي المعتصم حبه وولعه بالعمارة، ومن أقواله باستصلاح الأراضي وحبه للعمارة : " إن فيها أموراً محمودة، فأولها عمران الأرض التي يحيا بها العالم، وعليها يزكو الخراج، وتكثر الأموال، وتعيش البهائم، وترخص الأسعار، ويكثر الكسب، ويشع المعاش " (١) .

يفهم من هذا النص أن الخليفة المعتصم لم يقصد منه الكلام عن الفن المعماري الإسلامي، بل قصد منه استصلاح الأراضي وزراعتها، بدليل أن النص يوضح القصد من العمارة وهي عمران الأراضي، أي استصلاحها وزراعتها، لأن الخراج وهي ضريبة فرضت على الأرض الزراعية، تكثر بعمرائها أي تكثر بوفرة إنتاج الأرض من المحاصيل الزراعية، كما تعيش عليه البهائم، ومن كثرة الإنتاج سترخص الأسعار ويكثر الكسب . ويؤكد ما ذهبنا إليه من العبارة التالية للنص المنقول من المسعودي توضح فيها المقصود من النص

(١) المسعودي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) : أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المجلد الثاني (بيروت : دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٤٣٤ .

" وكان يقول لوزيريه محمد بن عبد الملك : إذا وجدت موضعاً حتى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة أحد عشر درهما فلا تؤامرني فيه " (١) .

ومن أهم إنشاءاته العمرانية مدينة سامراء : فقد بناها سنة (٢٢١هـ / ٨٣٦م) وهي تبعد حوالي (١٢٠) كم شمالي بغداد، وجعلها عاصمة للدولة العباسية، وبقيت مركزاً للخلفاء العباسيين حتى سنة (٢٧٩هـ / ٨٩٢م) وقد تميزت سامراء في هذه الفترة بكثرة الزخارف التي وجدت بالقصور الفخمة، والتي كانت تنبئ عن ميلاد فن جديد بدأت ملامحه تتخذ طابعاً إسلامياً خاصاً . ويرى الأعظمي أن هذه الزخارف التي كشفتها الحفريات الأثرية في أطلال سامراء كانت على ثلاثة طرز وهي : الطراز الأول والثاني والثالث تبعاً لخصائص كل واحد منها من حيث طريقة صنع زخارفه وعناصرها التي تتكون منها .

فالطراز الأول : كان يمتاز باستعمال طريقة الحفر العميق في أعمال الزخارف، كما امتاز بالدقة في تمثيل الزخارف وقد استعمل في هذا الطراز عنصر رئيسي هو العنب الذي رسمت أغصانه وأوراقه وعناقيده بشكل قريب للطبيعة.

الطراز الثاني : بدأت العناصر والأشكال السابقة تتطور تدريجياً وتبتعد عن الطبيعة شيئاً فشيئاً فبدأت فصوص الورقة بالاضمحلال حتى زالت .

أما الطراز الثالث : فيمتاز باستعمال طريقة الحفر المائل (المشطوف في صنع الزخارف، كما استغني عن العناصر السابقة بعنصر جديد هو المروحة النخيلية والتي تنوعت أشكالها، وتكونت منها أشكال مركبة متناظرة، كان لها أثر كبير في نشوء زخرفة التوريق العربي) (٢) .

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) خالد خليل حمودي الأعظمي، الزخارف الجدارية في آثار بغداد * (بغداد : دار الرشيد للنشر،

١٩٨٠م) ص ٣٠-٣١ .

الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٧-٨٦١م):

ومن أهم قصور ودور بغداد : ما قام به الخليفة العباسي المتوكل على الله ببناء عظيم الشأن، عرف بالخيري والكمين، والخيري منسوب إلى الحيرة المدينة العربية المشهورة ^(١). وقد أسهب المسعودي في البناء الخيري بقوله : "وأحدث المتوكل في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالخيري والكمين والأروقة، وذلك أن بعض سماره حدثه في بعض الليالي أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر أحدث بنياناً في دار قراره، وهي الحيرة، على صورة الحرب وهيئتها للهجة بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله" ^(٢).

واستطرد قائلاً: "فكان الرواق فيه مجلس الملك وهو الصدر والكمين ميمنة وميسرة ويكون في البيتين الذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه، وفي اليمين منهما خزانة الكسوة، وفي الشمال ما احتيج إليه من الشراب والرواق قد عم فضاءه الصدر، والكمين والأبواب الثلاثة على الرواق فسمى هذا البنيان إلى هذا الوقت بالخيري والكمين، إضافة إلى الحيرة واتبع الناس المتوكل في ذلك ائتماماً بفعله" ^(٣).

ويرى ميخائيل عواد أن العرب أجادوا في وصف هذا البناء أحسن الإجابة، ولقد صدقوا في قولهم إن الخيري بكمين . هو مثال عسكر روماني ذاهب إلى الحرب بجناحين ميمنة وميسرة ^(٤).

(١) ميخائيل عواد، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي . (بغداد : دار الرشيد للنشر،

١٩٨١م) ص ٧ .

(٢) المسعودي، مروج الذهب، المجلد الثاني، ص ٤٧٠ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) عواد، صور مشرقة، ص ٨ نقلاً عن مقالة للآثاري الدكتور هرتسفلد في مجلة لغة العرب (بغداد :

١٩١٢م) ص ٥١٦-٥١٧ .

ومن الأبنية المعمارية التي بناها الخليفة العباسي المتوكل مدينة الجعفرية سنة (٢٤٥هـ / ٨٥٩م) في مكان قريب من مدينة سامراء شمالاً، والتي بلغ فيها الفن المعماري أقصى دراجات الرقي، وبنى قصره الذي سماه الجعفري نسبة إليه، وشجع الأمراء والقواد وغيرهم على البناء، كذلك أمر المتوكل بنقض قصرَي المختار والبديع بسامراء، وحمل ما فيهما من خشب الساج لاستعماله في بناء قصره الجديد^(١)، وهذا ما أكدّه الطبري في قوله: "أمر المتوكل ببناء الماحوزة وسماها الجعفري، وأقطع القواد وأصحابه فيها، وجدّ في بنائها وتحول إلى الحمديّة ليتم أمر الماحوزة، وأمر بنقض القصر المختار والبديع وحمل ساحهما إلى الجعفري وأنفق عليها فيما قيل أكثر من ألفي ألف دينار"^(٢) كما بنى المتوكل في مدينة الجعفري قصرًا آخر سماه "لؤلؤة"، وامتاز بارتفاع بنائه وهذا ما أكدّه الطبري بقوله: "وبنى فيها قصرًا سماه لؤلؤة لم يُر مثله في علوه"^(٣).

وأمر الخليفة أيضاً بجفر نهر يأخذ ماءه من دجلة ويصل إلى هذه المدينة عرف باسم جبة دجلة، وأنفق على شق هذه التربة مائتي ألف دينار، وكان يقوم بجفرها "اثنا عشر ألف رجل يعملون فيه"^(٤).

وقد أوكل العمل فيه إلى دليل بن يعقوب النصراني كاتب بغا "فلم يزل يعتمل فيه ويحمل المال بعد المال ويقسم عامته في الكتاب حتى قتل فبطل النهر

(١) (الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) : ابو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الامم والملوك ، ج ١١

(بيروت: مطبعة خياط لا.ت.ص) ٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٦ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

واخربت الجعفرية ونقضت ولم يتم أمر النهر " (١) وبلغت تكاليف الأبنية في زمن المتوكل كما ذكرها صالح العلي "مائتين وأربعة وتسعين مليون درهم" (٢).

وذكر أيضاً أن تكاليف القصور في بغداد في العهود العباسية الأولى كانت أقل من تكاليف قصور المتوكل وذلك بسبب رخص الأسعار وبسبب تبذيره للأموال وقلة تدقيقه .

ويعلق الشابشتي على هذا الإنفاق بقوله: إن المتوكل كان "من أرباب الذوق والأنس لا يقصده عما يشتهي مال، وقد انصرف انصرافاً عجيباً إلى بناء قصور فخمة في سامراء كثر عددها حتى بلغت تسعة عشر قصراً، أنفق في سبيلها أموالاً جساماً تكاد تخرج عن حدود التصديق" (٣).

الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م) :

وبعد أن تولى المعتمد الخلافة، صار القصر الحسيني من أحب البقاع إليه، علماً بأن القصر الحسيني بناه جعفر بن يحيى البرمكي في أيام هارون الرشيد "١٧٠-١٩٣هـ/٨٧٦-٨٠٩م"، فكان يسمى القصر الجعفري (٤).

(١) المصدر نفسه ٥٦-٥٧ .

(٢) صالح أحمد العلي، معالم بغداد الإدارية والعمرانية، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٨م) ص ٢١ نقلاً عن ياقوت .

(٣) الشابشتي (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) : أبو الحسن علي بن محمد .

الديارات، تحقيق كوركيس عواد (بغداد : ١٩٦٦م) ص ٣٦٤ .

(٤) ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : أبو المحاسن جمال الدين يوسف .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ ٣، (القاهرة : ١٣٤٨-١٣٧٥هـ/١٩٢٩-١٩٥٥م) ص ٨٤ .

ثم انتقل إلى الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٢٣م) فعرف بقصر المأموني، ثم تزوج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل^(١) فوهبه له وكتبه باسمه فكان يقال له القصر الحسيني^(٢).

ويذكر ياقوت أن القصر: "كان أحب المواضع إلى المأمون وأشهاها لديه، فاقتطع جملة من البرية عملها ميداناً لركض الخيل واللعب بالصوالة وصيداً لجميع الوحوش، وفتح له باباً شرقياً إلى جانب البرية، وأجرى فيه نهراً ساقه من نهر المعلى"^(٣).

وفي خلافة المعتمد صار القصر الحسيني من أحب البقاع إليه، وكان يتردد بينه وبين سامراء فيقيم هنا تارة وهناك تارة أخرى حتى توفي سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م) وحمل إلى سامراء ودفن فيها^(٤).

(١) الحسن بن سهل وزير المأمون العباسي، أحد كبار القادة والولاة في عصره توفي سنة ٢٣٦هـ .
انظر ترجمته في :

ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م) : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد .
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جـ ١١ (تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا
(بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص ٢٣٩-٢٤٠ .
(٢) البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م) : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي .
تاريخ بغداد أو مدينة السلام، المجلد الاول (بيروت : دار الكتاب العربي لا.ت) ص ٩٩ .
(٣) ياقوت (ت ٦٢٦هـ/١٢٩٩م) : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي .
معجم البلدان، جـ ٢ تحقيق فريد عبد العزيز الجندبي (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٠هـ/
١٩٩٠م) ص ٣-٤ .

(٤) الآلوسي (ت ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م) : محمود شكري الآلوسي أخبار بغداد وما جاورها من البلاد .
(بغداد : مخطوطة موجودة في المكتبة المركزية تحت رقم ٢٣٤٥٩٠) ص ٣٥، كذلك انظر
أحمد سوسة، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، جـ ٢ (بغداد : ١٩٤٩م) ص ٣٦٩ .

الخليفة المعتضد العباسي أحمد بن الموفق (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م) :
وعندما تولى المعتضد الخلافة في سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م) نقل العاصمة من
سامراء إلى بغداد، فلما عادت الخلافة إلى بغداد، استقر الخليفة المعتضد في
القصر الحسيني والذي بقي مقاماً للخلفاء حتى سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) .
هذا وقد أضيفت للقصر الحسيني قصور وأبنية محددة العدد، ذات خصائص
عمرانية وحضارية واجتماعية ثم أحيطت بسور يميزها عن غيرها .
وقد ذكر لسترنج أن سور بغداد الشرقية الجديد "يضم قسماً من محلة
المخرم العتيقة، وبُدؤه من ضفة النهر فوق القصور، وانتهأؤه في ضفة النهر
تحتها" ^(١) .
ولعل بقاء الخلافة مستقرة في بغداد بعد رجوعها من سامراء : يعود لاسباب
أهمها ^(٢) :

— انحصار الخلافة في نسل أفراد معينين، فقد ولي الخلافة في هذا العهد
ثلاثة من أولاد المعتضد (المكتفي، المقتدر، القاهر) واثنان من أولاد
المستظهر (المسترشد، المقتفي) . أما الباقيون فكان كل منهم يعقب أباه في
الخلافة .

— تناقص الموارد المالية للخلفاء حيث إنها لم تعد تكفي لبناء قصور جديدة
تتخذ دوراً للخلافة .

(١) كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، كوركيس عواد .

(بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٥١ حيث ذكر أن هذا السور بناه الخليفة

المستظهر سنة (٤٤٨هـ/١٠٩٥م) ولكنه يعد ما شيده المسترشد بالله سنة ٥١٧هـ/نقلا عن ابن

الجوزي حوادث سنة ٥١٧هـ .

(٢) صالح أحمد العلي، معالم بغداد، ص ٥٥ .

— ولادة معظم الخلفاء من أمهات غير عربيات لم يكن لهن أقارب في بغداد . من كل ما سبق نلاحظ تلاشي المشاكل التي قد تحدث من تبدل الأسر وشح الموارد الاقتصادية، وهذا مما أدى أخيراً إلى استقرار الخلافة في بغداد لمدة طويلة .

وبهذه الفترة، فقد نشطت في بغداد وفي الجانب الشرقي منها حركة العمران وبناء القصور الشاهقة والضحمة . ومن أشهر الإنجازات العمرانية التي قام بها المعتضد : قصر الثريا ^(١) والذي يقع على نهر موسى حيث اتخذته مقراً له قبل أن يبني التاج ويبدو أنه جعل الدواوين في الثريا ^(٢) . وهذا ما أكدته الصابي بقوله : "عن أبي القاسم ابن الزنجي الذي يروي عن ابن عمه أبي الطيب أحمد بن إسماعيل الذي قال : " مضيت في يوم من الأيام على الرسم إلى الديوان بالثريا " ^(٣) .

وبقي هذا القصر حتى سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م) حيث انفجرت المسناة ^(٤) التي تحت القورج وغمرت المياه حتى " أغرقت جانباً كبيراً من بغداد، حتى خلص ذلك إلى دار الخلافة " ^(٥) .

(١) الشابشتي، الديارات، ص ١٩ . البغدادي، تاريخ بغداد، المجلد الأول، ص ٩٩ . ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢ ص ٣٣٥ .

(٢) صالح العلي، معالم بغداد، ص ٣١ .

(٣) (الصابي (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦) : هلال بن المحسن .

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٨م) ص ١٠٦/٢٠٤ .

(٤) المسناة : بضم الميم وفتح السين وتشديد النون يليها ألف فهاء منقوطة وهي عبارة عن بناء حافظ للقصر من الماء عواد، صور مشرقة، ص ١٢ .

(٥) ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر .

وقد بلغت تكاليف البناء التي أنفقها المعتضد على قصره الثريا استناداً إلى رواية المسعودي (أربعمائة ألف دينار)^(١) وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ^(٢) وقد ذكر ابن الجوزي أن المعتضد كان يحب قصره الثريا ويمدحه بقوله :

" أنا على سريري، أحاطب وزيري، وصيد البر والبحر يصاد بين يدي"^(٣).
وفي جوار القصر الحسيني في مكان يقع فوقه حيث يصب نهر المعلى في دجلة .

بنى المعتضد الخلد (الفردوس)، حيث كان قديماً دير الراهب، ويمتاز هذا المكان بجوه اللطيف وقلة البق^(٤) .

وقد ذكر السيوطي أنه كان في بساتين هذا القصر بحيرة يأتيها الماء من فرع صغير لنهر موسى عند المعتصم قرب ماء المخرم وقد غرم المعتضد على عمارة .
البحيرة ستين ألف دينار " وكان يخلو فيها مع جواريه وفيهن محبوبته "دريرة"^(٥) .

= البداية والنهاية، جـ ٢١، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ص ٩٧.

(١) المسعودي، مروج الذهب، المجلد الثاني، ص ٥٩٨، صالح العلي، معالم بغداد، ص ٢١.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

أما الفرسخ: فيتألف من ثلاثة أميال، كل ميل ألف باع، وكل باع أربعة أذرع شرعية، أي أن طول الفرسخ كان حوالي (٦) كم، أي أن طول القصر سيكون (١٨) كم ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه وربما يكون مع ضمن الأرض الواقعة حول القصر، فالتر هانتس، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري . ترجمة الدكتور كامل العسلي (عمان : الجامعة الأردنية) ص ٩٤.

(٣) ابن الجوزي : المنتظم، جـ ١٢، ص ٦٣٣ (حوادث سنة ٢٨٠هـ)

(٤) الألويسي، اخبار بغداد، (مخطوطة)، ص ٣٨.

(٥) السيوطي (ت ٩١١ هـ/ ١٠٥٦ م) : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر .

تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة : ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) ص ٣٧٢.

كذلك وضع المعتضد أساسات قصر التاج^(١) ، زيادة على قصري الفردوس والثريا، في موضع يقع على نهر دجلة بالقرب من القصر الحسيني، وفيما بعد أصبح أهم مركز رسمي للخلفاء . وقد ذكر البغدادي أن الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨م) قام بعده " ببناء التاج على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تنهى في توسعته وتعليته".^(٢)

ولا ننسى أيضاً ما قام به المعتضد سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م "ببناء مطامير في قصر الحسيني، رسمها هو للصناع، فبنيت محكمة، وجعلها محابس الأعداء"^(٣). حيث خصص في ميزانيته "ألف وخمسمائة دينار لنفقات السجون وثمان أقات المحبوسين ومائهم وسائر مؤهم"^(٤) ولا ننسى أيضاً ما قام به الخليفة من إنشاء أبنية ملكية فخمة، في منطقة براز الروز^(٥) في كورة ديايي حيث أمر "أن يبنى له قصر فوق الشماسية، فابتيع ما للناس هناك من الدور ومات قبل أن يتم البناء"^(٦).

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٢، ص ٨٤.

عبد الكريم عبده حاملة، خلافة المعتضد بالله، ص ١١٨.

(٢) البغدادي، تاريخ بغداد، المجلد الأول، ص ٩٩.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ١٢، ص ٣٣٦ كذلك انظر المسعودي حيث قال : "واتخذ المطامير، وجعل فيها صنوف العذاب، وجعل عليها نجاج الحرمي المتولي لعذاب الناس " المسعودي، مروج الذهب، المجلد الثاني، ص ٥٩٨.

عبد الكريم عبده حاملة، خلافة المعتضد بالله، ص ١١٨.

(٤) آدم متر، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، جـ ٢ نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده، أعد فهارسه رفعت البدرأوي (القاهرة : مكتبة الخانجي، بيروت دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م) ص ٢٠١ نقلا عن كتاب الوزراء، ص ٢١.

(٥) براز الروز : تعرف بلدة براز الروز الان ببلدة الروز أو (بلد روز) وهي في شمال شرقي بلدة النهروان، وبلد روز اليوم بلدة على نهر روز من الفروع اليسرى لنهر ديايي وهي مركز ناحية باسمها تابعة إلى قضاء مندلي، قيل اسمها مركب من براز الروز وأصله الفارسي براز — روز (روز= نهر براز =خترير) فيكون معناه النهر الخترير . وقيل في تفسير معناه (ضياء النهار) أو بهاء النهار انظر : لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٨٦.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ص ٣٣٦.

الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨م) :

ومن أهم إنجازاته العمرانية : المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من القصر الحسيني أحد قصور دار الخلافة فاطلق عليه جامع الخليفة وهو متصل بداره وقد ذكره ابن جبير : "بأنه جامع كبير وفيه سقايات عظيمة ومرافق كثيرة كاملة، مرافق الوضوء والطهور" ^(١).

وكان هذا الجامع من المساجد الجامعة المهمة في بغداد، حيث أصبح ثالث جامع في بغداد الشرقية بعد جامع السلطان وجامع الرصافة . كما نجد أن الخليفة المكتفي ينفق سبعمائة ألف دينار من أموال المسلمين على أبنية له ^(٢) وفي سنة (٣٣٤هـ/٩٤٦م) خضعت بغداد للسيطرة البويهية، وأصبحت الخلافة العباسية من الناحية السياسية تعاني كثيراً من الضعف والانحلال وبالرغم من كل هذه المعاناة إلا أن الحركة البنائية استمرت في بغداد في نشاطها وتقدمها .

الخليفة المطيع بالله (٣٣٤-٣٦٢هـ/٩٤٦-٩٧٤م) :

أما الخليفة المطيع بالله فقد شجع حركة العمران ومن أهم إنجازاته في هذا المجال : بناء دار الطواويس والدار المربعة والدار المثلثة ^(٣).

ومن المنشآت العمرانية الهامة ببغداد، والتي بنيت على طراز الحيري والكمين دار أبي القاسم علي بن أفلح ، وقد عاش أيام الخليفة العباسي المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٥م) وكان شاعراً مجيداً " وقد خلع عليه المسترشد ولقبه جمال الملك، وأعطاه أربعة دور، وكانت له دار إلى جانبهن،

(١) ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناي الأندلسي.

رحلة ابن جبير (بيروت : دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) ص ٢٠٤.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٧٧.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤ ص ١٠-١٢ (طبعة مصر، مطبعة السعادة ١٩٠٦م).

فهدمهن كلهن، واتخذ مكاخن داراً هائلة طولها ستون ذراعاً في عرض أربعين ذراعاً".^(١) وقد غرم عليها عشرين ألف دينار، وقيل ألف ألف دينار، وقد موته بالذهب وعملت فيها الصور^(٢). وفيها الحمام العجيب، فيه بيت مستراح فيه أداة تسمى البيثيون^(٣)، إن فركه الإنسان يميناً خرج الماء حاراً وان فركه شمالاً خرج بارداً^(٤) ومن شعره الذي طلب أن يكتب على أبواب داره :

ان أعجب الراؤون من ظاهري فباطني لو علموا اعجب
شد الاباني من كفه مزنة يخجل منها العارض العيب
رنحت روضة أخلاقه وفي ديار نورها مذهب
صدر كسا صدري من نوره شمساً على الأيام لا تغرب
وكان على الطراز مكتوب^(٥) :
ومن المروءة للفتى
ما عاش دار فاحرة

(١) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ١٧، ص ٣٣٨ — ٣٤١، ابن كثير . البداية والنهاية، جـ ١٢، ص ١٩٣ — ١٩٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ١٧، ص ٣٣٨.

(٣) البيثيون : هو البزال الذي يعمل من أنبوبة تثقب ثقباً وتركب في الثقب أنبوبة أخرى، منتصبة تدار فيه للفتح والسد والأنبوبة المركبة في الاناء تسمى الأنثى، والأنبوبة المركبة في ثقب الأنبوبة تسمى الذكر والكلمة من اليونانية .

الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم (القاهرة : لا . ت) ص ٢٥٢ — ٢٥٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ١٧، ص ٣٣٨، ابن كثير . البداية ، جـ ١٢، ص ١٩٣.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ١٧، ص ٣٣٨ — ٣٣٩.

عند ابن كثير بآخرة : من بتر أي قطع . ابن كثير . البداية ، جـ ١٢، ص ١٩٣.

فاقنع من الدنيا بها واعمل لدار الآخرة
هاتيك وافية بما وعدت وهذه ساحرة

ولم تستمر العلاقة طيبة بينهما بل اهتم به بأنه يكاتب ديبساً^(١) فأمر بخراب داره تلك، فلم يبق فيها جدار، بل صارت خربة بعدما كانت قرة العيون من أحسن المقام والقرار^(٢) أورد ابن الجوزي سبب الاتهام بأنه " كان في المسجد الذي يحاذي دار السماك رجل يقال له مكّي يصلي بالناس ويقرأ القرآن، فكان إذا جاء رسول ديبس، أقام عند ذلك الإمام بزي الفقراء، فاطلع على ذلك بواب ابن أفلق ... فمضى واطلع صاحب الشرطة على ذلك فمضى فكبس المسجد وأخذ الجاسوس، وهرب ابن أفلق وإمام المسجد، وأمر المسترشد بنقض داره^(٣) ولكن الخليفة عفا عنه، حيث قبل وساطة بهروز الخادم صاحب تكريت^(٤)، وقد أورد ابن الجوزي له أشعاراً حسنة منها^(٥).

دع الهوى لا ناس يعرفون به قد مارسوا الحب حتى منه أصعبه
بلوت نفسك فيما لست تحبره والشيء صعب على من لا يجربه

(١) ديبس بن صدقة : (٤٠٨-٤٧٤هـ/١٠١٧-١٠٨١م)

وهو نور الدولة أبو العز ديبس بن سيف الدولة أبو الحسن صدقة، أمير عربي، حاكم الحلة من الأسر المزيدية .

هبة الله الحلبي (عاش في النصف الثاني من القرن الخامس، والنصف الأول من القرن السادس الهجري) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، ج٢، تحقيق صالح درادكة، محمد خريسات (عمان : مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٤م) ص١٩-٢٠، ابن كثير . البداية ، ج١٢، ص٦

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٣٣٨، ابن كثير . البداية ، ج١٢، ص١٩٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٣٣٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٣٨-٣٣٩.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

أمن اضطبار وإن لم تستطع خلداً قرب مدرك أمر عز مطلبه
أحني الضلوع على قلب يحيرني في كل يوم ويعيني تقلبه
تناوح الريح من نجد يهيجه ولامع البرق من نغمت يطربه
ومن روعة العمران دار ابن جردة ^(١) والذي يعد من ذوي الثروة والمروءة،
وكان أصله من عكبرا فسكن بغداد، وقدر ماله بثلاثمائة دينار " وهو الذي
دفع إلى قریش بن بدران عند مجيئه مع البساسيري عشرة آلاف دينار، حتى
حمى داره من النهب، وكان فيها خاتون خديجة زوجة القائم " ^(٢) .

واستطرد ابن الجوزي في وصف الدار الواقعة بباب المراتب والتي يضرب بها
المثل بقوله : " وكانت تشمل على ثلاثين داراً وعلى بستان وحمام، ولها بابان
على كل باب مسجد، إذا أذن في أحدهما لم يسمع الآخر " ^(٣) .

ولا ننسى أيضاً دار الوزير ابن مقلة ^(٤) ، صاحب الخط الحسن المشهور،
وقد بنى له داراً أثناء وزارته على شاطئ دجلة، فقد غرم عليها مالاً كثيراً يقدر
بمئة ألف دينار، وقيل بألفي ألف دينار، كما ألحق بها بستاناً كبيراً جعله بيوتاً

(١) ابن جرّده هو محمد بن أحمد بن الحسن، أبو عبد الله بن جرّده أحد الرؤساء في بغداد أيام الخليفة القائم بأمر الله (٤٧٦هـ/١٠٨٣م) له ترجمة في ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦ ص ٢٣٢.
ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١١٢-١١٣، حيث ورد اسمه هكذا بن أحمد بن الحسين بن جرّاده .

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ٣٣٢-٣٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٣، ابن كثير، البداية، ج١٢، ص ١١٢.

(٤) ابن مقلة: هو محمد بن علي بن عبد الله أبو علي المعروف بابن مقلة
استوزره المقتدر والقاهر والراضي . انظر ترجمته في:

ابن الجوزي / المنتظم ، ج١٣، ص ٣٩٢-٣٩٤. ابن كثير، البداية، ج١١، ص ١٦٤-١٦٥.

تأوي إليه الطيور والتي لا تفرخ إلا في الشجر على شاكلة : القماري ^(١)،
والدباسي ^(٢)، والنوبيات ^(٣) والشحارير ^(٤)، والزرياب ^(٥)، والهزار ^(٦)،
والفواخت ^(٧) وغيرها من الطيور التي جئى بها من أقاصي البلاد .

(١) القماري : طائر يشبه الحمام القمر البيض، وقال ابن سيده القمرية، وضرب من الحمام صغير،
وقال الجوهري القمري منسوب الى طير قمر، وقمر إما أن يكون جمع أقمر وإما أن يكون جمع
قمري، والأثنى من القماري قمرية والذكر ساق . حر والجمع قماري وقمر انظر : كوكب ديب
دياب، قاموس الحيوان (عربي عربي) (طرابلس : جروس برس، ١٩٩٥م) ص ٤٠٥.

(٢) الدباسي : جمع الدبس، ضرب من الحمام، جاء على لفظ المنسوب وليس بمنسوب وقيل هو
منسوب الى طير دبس، وقيل هو طائر صغير، ويقال هو ذكر اليمام وهذا النوع قسم من الحمام
البري . قال الجاحظ عن صاحب المنطق، يقال في الحمام الوحشي من القماري والفواخت، وما
أشبه ذلك دباسي ولا يعرف للدبس وكر . كوكب ديب، قاموس الحيوان، ص ٤٨٤.

(٣) النوبيات : جمع نوب، النحل، وسميت بذلك لأنها ترعى وتنوب إلى مكائها أو لأنها تضرب إلى
السواد، وقيل فمن جعلها مشبهة بالنوب (السودان) لأنها تضرب إلى السواد فلا واحد لها، ومن
سمها بذلك لأنها ترعى ثم تنوب إلى خيلتها، فواحدتها نائب . كوكب ديب، قاموس الحيوان،
ص ٤٨٤.

(٤) الشحارير : جمع شحرور، طائر أسود، فوق العصفور، حسن الصوت، وقيل هو البلبل، وهو
أنواع عديدة، تختلف في ألوانها واحجامها من تأثير المناطق التي تعيش فيها .

شاكر هادي شكر، الحيوان في الأدب العربي، (بيروت : مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب،

١٩٨٥م) ص ١٩٥.

(٥) الزرياب : قيل هو أبو زريق، وهو طائر ملون الريش، فيه زرقة وسواد وبياض، كثير الصياح،
وهو ألوف للناس يقبل التعلم دياب، قاموس الحيوان، ص ٢٢٣.

(٦) الهزار : العندليب أو البلبل وهو الهزار (دستان بالفارسية) .

الجاحظ (ت ٢٥٤هـ / ٨٦٨م) : أبو عثمان عمرو بن بحر الحيوان، جـه تحقيق وشرح عبد

السلام محمد هارون (بيروت : دار الجيل، ١٩٩٢م) ص ٢٨٩.

(٧) الفواخت : انظر هامش رقم (٦٥) الدباسي.

ويحدثنا ابن الجوزي " بأن طائراً بحرياً وقع على طائر بري فازدوجا وباضاً، وأفقساً، فأعطى من بشره بذلك مائة دينار ببشارته " (١) كذلك اختار مكاناً مناسباً من ذلك البستان، فوضع فيه الطيور التي لا تطير لكبر جسمها مثل الطواويس والبط، كما جعل من خلف البستان :

" الغزلان والبقر البدوية والنعام والإبل وحمير الوحش " (٢).

ومن روعة المنشآت العمرانية في بغداد : الدار المعزية (٣) التي بناها أبو الحسين أحمد معز الدولة البويهى (٣٢٠-٣٥٦هـ/٩٣٢-٩٦٧م) في الجانب الشرقي بجوار باب الشماسية سنة (٥٣هـ/١٦٩م). والشماسية كانت تقوم في أعلى الأعظمية في البقعة المعروفة اليوم بالصليخ ويخبرنا المؤرخ مسكويه أن نفقات هذه الدار بلغت رقماً لا يصدق العقل وهي ما يقارب ثلاثة عشر ألف ألف درهم (٤)، فاحتاج لذلك أن يصادر بعض أصحابه، وقد خرب أشياء كثيرة من معالم الخلفاء ببغداد في بنائها وكان مما خرب (المعشوق من سر من رأى وقلع الأبواب الحديد التي على مدينة المنصور والرصافة وقصورها، وحوّلها إلى داره هذه (٥).

ويذكر ابن كثير أن سبب بنائه لهذه الدار هو ما أصابه من المرض " انحصار البول "، فنصح أطباؤه وأصدقائه أن يبنوا داراً في مكان صحي، وأن ما

(١) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ١٣، ص ٣٩٥.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها. عواد، صور مشرقة، ص ١٠-١١.

(٣) الدار المعزية : كوركيس عواد، الدار المعزية من أشهر مباني بغداد في القرن الرابع للهجرة، مجلة سومر ١٠، جـ ٢ (بغداد ١٩٥٤م) ص ١٩٧-٢١٧، ميخائيل عواد، صور، ص ١١.

(٤) مسكويه : (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) : أبو علي أحمد بن محمد .

تجارب الأمم، جـ ٦ (القاهرة : مطبعة شركة التمدن الإسلامي، ١٩١٥م) ص ١٨٣.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها. ابن كثير، البداية، جـ ١١، ص ٢٠٠.

أصابه من المرض كان بسبب هواء بغداد ومائها، فوقع الاختيار على البقعة التي بالشماشية وهو موقع جيد وصحي ومناسب فيه بساتين وأشجار ونخيل ^(١). وقد أحضر معز الدولة مهرة البنائين من جميع البلدان الكبار في ذلك الوقت من الموصل والأهواز، وبلدان الجبل، وغيرها وقد حفر لداره أساساً نيفاً وثلاثين ذراعاً حيث " نزل سفلاً من الأرض بالنورة والأجر، إلى أن ارتفع فوق الأرض بأذرع " ^(٢). وتساوي أكثر من ١٥ متراً بمقاييس وقتنا ^(٣).

وفي سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م) جدد معز الدولة مشهد الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد وهي من المشاهد الشيعية وفي سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) قام الملك الرحيم أبو النصر الملك الرحيم (٤٤٠-٤٤٧هـ/١٠٤٨-١٠٥٥م) بتجديد بناء هذا المشهد، فأصبح له سور جديد يحيط به وقبة وهو واسع من جهة الجنوب، كذلك أقيم في جانبه مسجد ومئذنة ^(٤).

ومن الملاحظ عن الحركة العمرانية في العهد البويهى أيضاً هو اهتمامهم بعمل الأسوار وذلك لتجنب الغارات السلجوقية المتكررة على مدنها التابعة لهم فمثلاً أمر أبو كاليجار (٤١٥-٤٤٧هـ/٤٢٠١-١٠٥٥م) ببناء سور مدينة شيراز "فبني وأحكم بناؤه، وكانت دوره اثني عشر ألف ذراع وعرضها ثمانية أذرع وله أحد عشر باباً، وفرغ منه سنة ٤٤٠هـ " ^(٥) كذلك كان عضد

(١) ابن كثير، البداية، ج ١١، ص ٢٠٠.

(٢) مسكويه، تجارب الامم، ج ٦، ص ١٨٣.

(٣) عواد، صور مشرق، ص ١١.

(٤) الأعظمي، الزخارف الجدارية، ص ٣٤.

(٥) ابن الأثير، (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) : أبو الحسن علي بن أبي الأكرم ، الكامل في التاريخ، ج ٩

(بيروت : دار صادر، ١٩٧٩م) ص ٥٢٦.

الدولة أبو شجاع (٣٦٧-٣٧٢هـ/٩٧٨-٩٨٣م) شغوفاً ومحباً للفن المعماري، وإليه يرجع الفضل في تعمير مدينة بغداد، بعد أن أصابها الخراب لمدة طويلة، ولم يكتف بذلك بل أعاد بناء كثير من مساجدها وأجرى الأرزاقي على القائمين بها من المؤذنين والأئمة والقراء، وأعاد بناء ما تخرّب من أرباض هذه المدينة، كما أمر أصحاب العمارات التي أصابها الخراب بإعادتها إلى ما كانت عليه بأحسن صورة^(١)، وعمل أيضاً على تحميل الأحياء الواقعة على ضفتي نهر دجلة وأقام الميادين والمنتزهات، فامتألت هذه الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة، بعد أن كانت مأوى الكلاب ومطارح الجيف والأقذار.^(٢) كذلك عمل على تجديد ما دثر من الأنهار وإعادة حفرها، بعد أن أهملت زمناً طويلاً.

وهذا ما أكده الروذ راوري بقوله: "وعمل السكور وانفق فيها الأموال واعد عليها الآلات ووكل بها الرجال وألزمهم حفظها بالليل والنهار وراعى ذلك منهم أتم مراعاة في آونة المدود الجوراف وأزمنة الغيوث الهواطل وأوقات الرياح العواصف" (٣).

(١) ابن كثير، البداية، جـ ١١، ص ٢٥٦.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم، جـ ٦، ص ١٨٣.

(٣) الروذ راوري: الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين.

ذيل كتاب تجارب الأمم، جـ ٣، (يحتوي على حوادث (٢٥) سنة من ٣٦٩-٣٩٣هـ)

(القاهرة: دار الكتاب الإسلامي لا. ت) ص ٦٩.

وينسب إلى عضد الدولة المارستان العضدي ^(١) المشهور الذي أنشأه على الضفة الغربية لنهر دجلة في موضع قصر الخلد سنة (٣٦٩هـ/٩٧٩م)، والذي كان متهدماً في ذلك الوقت .

وقد ذكره المؤرخ ابن بطوطة بأنه كان قائماً حتى القرن الثامن الهجري يؤدي خدماته كالمعتاد " والمرستان فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع على الدجلة، وهو قصر كبير خرب وبقيت منه آثار " ^(٢) .

ويرى الأعظمي أن الأبنية البغدادية في الغالب كانت ذات جدران مزخرفة بالطرق التي كانت شائعة قبل حكم البويهيين، كالزخارف الجصية مثلاً ثم زخارف القاشاني المختلفة الأنواع والأشكال .

ومن الملاحظ أن مواد البناء التي استعملت في بعض الأبنية الأولى في بغداد كانت من اللبن، حيث استعمل في بناء أساس الأسوار وقد أكد ذلك المؤرخ ابن الجوزي بقوله : "ولبنها ذراع في ذراع ... ووزن الواحدة مائة وسبعة عشر رطلاً " ^(٣) .

أما استعمال الصخر في البناء فيبدو أنه كان نادر الاستعمال "ولم يذكر استعمال الصخر إلا في فرش الرحبة " ^(٤) .

(١) ابن الأثير، الكامل، جـ ٩ ص ٢٢ حيث يذكر (وعمل المصالح في سائر البلاد كالبيمارستانات والقناطر وغير ذلك من المصالح العامة) ابن كثير، البداية، جـ ١١، ص ٢٥٦ . كذلك انظر : أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام (دمشق : المطبعة الهاشمية ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م) ص ١٧٨—١٧٩ .

(٢) حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته (تحقيق ودراسة وتحليل) (القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٠م) ص ٨٧ .

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٨، ص ٧٥ .

(٤) صالح العلي، معالم بغداد، ص ١٦ .

واستعمل الجص في البناء وهو المصنوع من الكلس، وكان الجص يستورد من المناطق المجاورة، لأن منطقة بغداد، خالية من الكلس الذي يصنع منه الجص^(١).

ويرى ميخائيل عواد أنه كان للجص الصدارة في ميدان الزخرفة والريادة فقد اتخذ في تزيين المساجد والقصور ومنازل العظماء وسراة القوم يوم ذلك^(٢).

أما الآجر فقد كان متوفراً، وشائع الاستعمال في تلك الفترة، وكان شكله مربع الشكل، يبلغ طول ضلع ذي الحجم الكبير منه خمسة وثلاثين سنتمترًا بين ثمانين وتسعة سنتمترات^(٣).

فقد أحسن الصانع المهرة من العرب المسلمين في استعمال الآجر المصنوع من المواد المتوفرة في استعماله في العمارة والزخرفة، فجعلوا منه أقواس المباني الجميلة المختلفة وعناصرها الزخرفية الجذابة، ونظراً للدقة المتناهية والمهارة الفائقة التي امتازت بها زخارف القصر العباسي في قلعة بغداد، فقد خيل لبعض العلماء أن تلك الزخارف صنعت من الجص حيث صبت بقوالب خاصة^(٤) أما السقوف فقد كان أكثرها من الساج المذهب، كما ازدانت هذه الدار بروشن^(٥) بديع يشرف على خارج الدار.

(١) المرجع نفسه، ص ١٧.

(٢) ميخائيل عواد، صور، ص ٢٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٥) الروشن : يجمع على الرواشن والرواشين . منظره تشرف عادة على خارج البيت وتعرف اليوم في

بغداد بلفظة البالكون (عواد، صور، ص ١٢).

وفيما يتعلق بخراب هذه المنشآت العمرانية، فقد أخبرنا المؤرخ المقدسي أنه في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، كانت مدينة بغداد " خراب والجامع فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب " (١).

كذلك تحدث ابن الجوزي عن خراب مدينة بغداد بجانبها الغربي والشرقي والذي أصابها من جراء تكرار فيضان دجلة مرات عديدة، مما كان له سبب كبير في ندرة الآثار الباقية في هذه المدينة .

من كل ما سبق ذكره فيما يتعلق بأبنية العهود العباسية الأولى نخلص إلى ما يلي :

قلة استعمال الحجارة في بغداد، وكثرة استعمال الطين ثم الجص والآجر علماً بأن الجص كان يستورد من المناطق المجاورة، لأن منطقة بغداد تخلو من الكلس الذي يصنع منه الجص . كما نخلص أيضاً إلى أن معظم البناء في بغداد اعتمد اعتماداً كلياً على المواد المتوفرة محلياً وسهولة الحصول عليها، وهذا مما سهّل انتشار البناء بشكل واسع، فمثلاً كانت قصور الخلفاء الأوليين وأولادهم تقع إما على دجلة وإما على الأنهار الصغيرة الأخرى، والتي كانت تفيد في تحميل القصور بكلفة قليلة فضلاً عن تزويدها بما تحتاجه من ماء الشرب والغسيل وإرواء الحدائق والبساتين .

(١) المقدسي (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري .

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) ص ١٠٧.

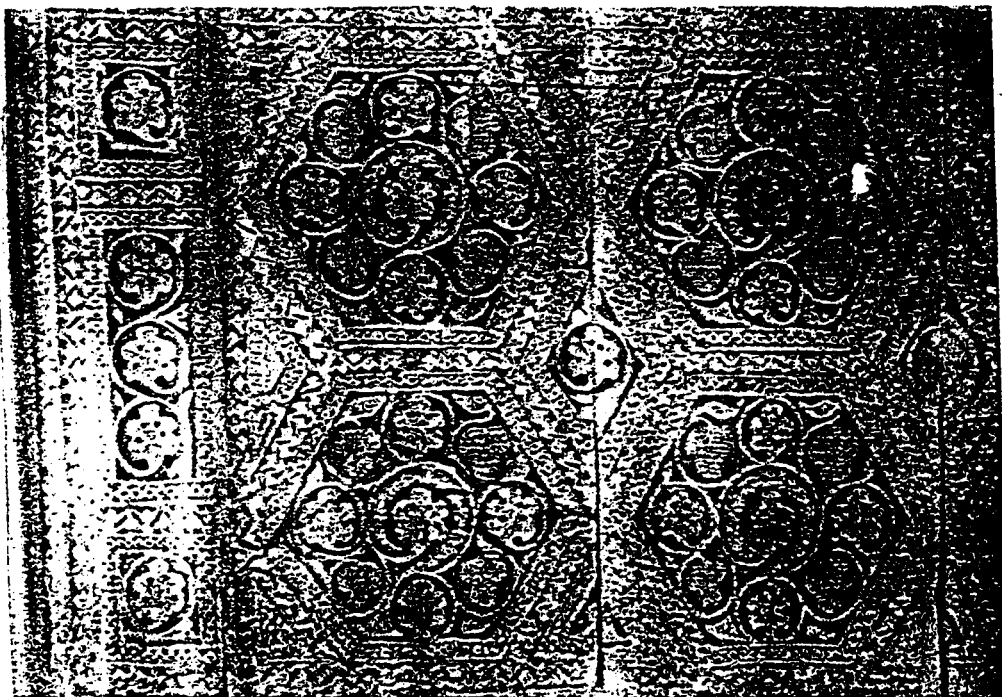
ملخص بأهم المنشآت العمرانية في بغداد خلال المدة

(٢٢١-٥٣٩هـ/٨٣٦-١١٤٣م)

م	الخليفة. الأمير. الوزير	سنوات الحكم	المنشآت العمرانية	تاريخ البناء
١	المعتصم بالله	(٢١٨ - ٢٢٧هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢م)	* مدينة سامراء	٢٢١هـ / ٨٣٦م
٢	المتوكل على الله	(٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٧ - ٨٦١م)	* الحيري والكمين * مدينة الجعفرية (الجعفري) * لؤلؤة	أثناء فترة حكمه ٢٤٥هـ / ٨٥٩م ٢٤٥هـ / ٨٥٩م
٣	المعتد على الله	(٢٥٦ - ٢٧٢هـ / ٨٧٠ - ٨٩٢م)	* استقر في القصر الحسيني مع إجراء بعض الإصلاحات	أثناء فترة حكمه
٤	المعتز بالله	(٢٧٩ - ٢٨٩هـ / ٨٩٢ - ٩٠٢م)	* إضافات على القصر الحسيني * قصر الثريا * قصر الفردوس (الخلد) * عمارة البحيرة * أساسات قصر التاج * بناء مطامير في قصر الحسيني * أبنية ملكية فخمة في منطقة براز الروز	أثناء فترة حكمه أثناء فترة حكمه أثناء فترة حكمه أثناء فترة حكمه أثناء فترة حكمه أثناء فترة حكمه
٥	المكتفي بالله	(٢٨٩ - ٢٩٥هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨م)	* تكملة قصر التاج * المسجد الجامع في الجانب الشرقي من القصر الحسني (جامع الخليفة)	أثناء فترة حكمه
٦	المطيع بالله	(٣٣٤ - ٣٦٢هـ / ٩٤٦ - ٩٧٤م)	* دار الطولويس * الدار المربعة * الدار المثمنة	أثناء فترة حكمه أثناء الفترة حكمه أثناء الفترة حكمه

م	الخليفة. الأمير. الوزير	سنوات الحكم	المنشآت العمرانية	تاريخ البناء
٧	أبو القاسم علي بن أفلح عاش أيام الخليفة المسترشد	(٥١٢-٥٢٩ هـ / ١١١٨-١١٣٥ م)	* دار أبي القاسم علي بن أفلح وكانت الدار تتألف من قصور كثيرة وقد شيدت على الطراز الحيري والكمين	أثناء فترة المسترشد
٨	محمد بن أحمد بن جردة عاش أيام الخليفة القائم بأمر الله	(٤٤٢-٤٦٧ هـ / ١٠٣٧-١٠٧٥ م)	* دار ابن جردة	أثناء فترة القائم بأمر الله
٩	الوزير ابن مقلة استوزرة كل من المقتدر القاهر الراضي بالله	(٢٩٥-٣٢٠ هـ / ٩٠٨-٩٣٢ م) (٣٢٠-٣٢٢ هـ / ٩٣٢-٩٣٤ م) (٣٢٢-٣٢٩ هـ / ٩٣٤-٩٤٠ م)	* دار الوزير بن مقلة	أثناء فترة كل من المقتدر ، القاهر الراضي بالله
١٠	معز الدولة البويهى	(٣٢٠-٣٥٦ هـ / ٩٣٢-٩٦٧ م)	* مشهد الإمامين موسى الكاظم ، محمد الجواد * الدار المعزية	(٩٣٦ هـ / ٩٤٧ م) (٣٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)
١	أبو نصر الملك الرحيم	(٤٤٠-٤٤٧ هـ / ١٠٤٨-١٠٥٥ م)	* تجديد مشهد الامامين * مسجد ومنذنة	(٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)
٢	أبو كالجبار	(٤١٥-٤٤٧ هـ / ١٠٢٤-١٠٥٥ م)	* سور مدينة شيراز	(٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م)
٣	عضد الدولة ابوشجاع	(٣٦٧-٣٧٢ هـ / ٩٧٨-٩٨٣ م)	* تعمير مدينة بغداد * مساجد مدينته بغداد * تجديد ما دثر الاتهار * المارستان العضدي	أثناء فترة عضد الدولة أثناء فترة عضد الدولة أثناء فترة عضد الدولة (٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م)

زخارف جصية من سامراء



أ- زخارف سامراء (الطراز الأول)



ب- زخارف سامراء (الطراز الثاني)



ب- زخارف سامراء (الطراز الثالث)

* خالد الأعظمي ، الزخارف الجدارية ، ص ١٩٩ .

الخاتمة :

بعد هذا العرض لقصور بغداد ودورها في العصر العباسي خلال المدة (٢٢١-٥٣٩هـ/٨٣٦-١١٤٣م) يمكننا ملاحظة ما يلي :

أولاً : التأثير الفني الفارسي في المنشآت العمرانية العباسية، حيث اقتبس المسلمون منها ما يلائم دينهم وما يناسب ذوقهم الفني، وقد بدا واضحاً ما قام به الخلفاء والأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة، ببناء القصور الضخمة المحلاة بالرسوم والزخارف من الداخل والخارج، وعليها صور من الجص المجسم .

ثانياً : مساهمة الفنانين ذوي الخبرة في مجال المنشآت العمرانية بقسط كبير في صناعة الآجر، والتفنن في زخرفتها ذلك لتلبية متطلبات مجتمعهم منطلقين من تقاليدهم الفنية، وخبراتهم المهنية مع رغبتهم في التطوير والتجديد وابتكار كل ما هو جديد وجميل وجذاب .

ثالثاً : مساهمة الصناع المهرة في استخدام العناصر النباتية المختلفة في الزخارف البغدادية، مثل عناصر العنب بأوراقه وعناقيده، رغم انقطاع مراحل التطور لفترة طويلة، بعد تأسيس بغداد، علماً بأن هذه العناصر كانت موجودة في سامراء عندما كانت عاصمة للخلافة لفترة نصف قرن تقريباً .

رابعاً: ازدهار الحركة العمرانية في بغداد عندما نقل الخليفة العباسي المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م) العاصمة من سامراء إلى بغداد، حيث أنشئت القصور الجميلة بأشكالها، من قبل الخلفاء، الذين تعاقبوا في الحكم، ومن قبل البويهيين وغيرهم معلنة بميلاد جديد، بدأت ملامحه تتخذ طابعاً إسلامياً .

خامساً: اختيار المواقع المناسبة، لإقامة القصور للخلفاء وأولادهم في هذه الفترة على أنهار صغيرة، وخاصة على نهر دجلة، حيث إن هذه الأنهار كانت لها فوائد كثيرة مثل : تحميل القصور، مياه للشرب والغسيل وإرواء الحدائق والبساتين بالإضافة إلى التكاليف القليلة .

سادساً: الاعتماد الكلي في بناء القصور على المواد المتوفرة محلياً مثل اللبن المعمول من الطين والآجر ، حيث ساهم الفنانون المهرة بقسط كبير في صناعة الآجر والتفنن في زخرفته، أما المواد التي لم تكن متوفرة، مثل الأحجار، فكانت تستورد من المناطق القريبة جداً المجاورة وذلك بسبب قلة التكاليف .

سابعاً : وبالرغم من معاناة الدولة العباسية من حروب وفتن واضطرابات، فإن الفن المعماري كان كالإيمان، بمثابة قلعة منيعة صامدة تنتصر على الفناء والعدم، وهذا مما جعل المؤرخون يهتمون كثيراً بالفن المعماري الإسلامي، واعتباره ميداناً من ميادين الحضارة الإسلامية .

أولاً: قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية :

١- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري.

الكامل في التاريخ (بيروت : دار صادر ١٩٧٩م).

٢- ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : أبو المحاسن جمال الدين يوسف.
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة : ١٣٤٨-١٣٧٥هـ/
١٩٢٩-١٩٥٥م) .

٣- ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنايني الأندلسي.

رحلة ابن جبير (بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).
٤- ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م) : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد
القادر عطا (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
مناقب بغداد، عني بتصحيحه وتعليق هوامشه ونشره محمد بهجة البغدادي
(بغداد : مطبعة دار السلام ١٣٤٢هـ).

٥- ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر .
البداية والنهاية (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

٦- الآلوسي (ت ١٣٤١هـ/١٩٢٤م) : محمود شكري .
أخبار بغداد وما جاورها من البلاد (بغداد : مخطوطة موجودة في المكتبة
المركزية تحت رقم (٢٣٤٥٩٠) .

٧- البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م) : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي .
تاريخ بغداد أو مدينة السلام . المجلد الأول (بيروت : دار الكتاب العربي
لا.ت).

- ٨- الجاحظ (ت ٢٥٤هـ/٨٦٨م) : أبو عثمان عمرو بن بحر.
- الحيوان . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . (بيروت : دار الجبل ١٩٩٢م).
- ٩- الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف .
- مفاتيح العلوم (القاهرة : لا . ت).
- ١٠- الروذ راوري : الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين .
- ذيل كتاب تجارب الأمم، ج٣ (يحتوي على حوادث (٢٥) سنة من ٣٦٩—٣٩٣هـ، (القاهرة : دار الكتاب الإسلامي لا.ت).
- ١١- السيوطي (ت ٩١١هـ/١٤٩٥م) : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر .
- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة : ١٣٨١هـ/١٩٦١م).
- ١٢- الشاشتي (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) : أبو الحسن علي بن محمد.
- الديارات، تحقيق كوركيس عواد (بغداد : ١٩٦٦م).
- ١٣- الصابي (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦) : أبو الحسن علي بن محمد .
- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٨م).
- ١٤- الطبري (٣١٠هـ/٩٢٢م) : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري .
- تاريخ الأمم والملوك (بيروت : مطبعة خياط لا . ت).
- ١٥- مسكويه (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) : أبو علي أحمد بن محمد .
- تجارب الأمم، ج٦ (القاهرة مطبعة شركة التمدن الإسلامي ١٩١٥م).
- ١٦- المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) : أبو الحسن علي بن الحسين .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المجلد الثاني (بيروت : دار الكتاب العربي اللبناني ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- ١٧- المقدسي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري .
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . (بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) .
- ١٨- هبة الله الحلبي (عاش في النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجري) .
- المناقب المزيديّة في أخبار الملوك الأسديّة، ج٢، تحقيق صالح درادكة، محمد خريسات (عمان : مكتبة الرسالة الحديثة ١٩٨٤م) .
- ١٩- ياقوت (ت ٦٢٦هـ/١٢٩٩م) : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي معجم البلدان، ج٢، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)

ثانياً : قائمة المراجع العربية الحديثة والمترجمة:

- ١- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، جزآن، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريذة، أعد فهارسه رفعت البدرآوي القاهرة : مكتبة الخانجي (بيروت دار الكتاب العربي ١٩٦٧م) .
- ٢- أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام (دمشق : المطبعة الهاشمية، ١٩٣٩م) .
- ٣- حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته (تحقيق ودراسة وتحليل) القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٠م) .
- ٤- خالد خليل حمودي الأعظمي، الزخارف الجدارية في آثار بغداد (بغداد دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م)
- ٥- شاكِر هادي شكر، الحيوان في الأدب العربي (بيروت : مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب ١٩٨٥م) .
- ٦- صالح أحمد العلي، معالم بغداد الإدارية والعمرانية (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٨م) .
- ٧- عبد الكريم عبده حتاملة، خلافة المعتضد بالله، أطروحة دكتوراه حلقة ثالثة (بيروت : جامعة القديس يوسف ١٩٨٢م) .
- ٨- فالتر هانتس، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادها في النظام المتري، ترجمة الدكتور كامل العسلي (عمان : الجامعة الأردنية) .
- ٩- كوكب ديب دياب، قاموس الحيوان (عربي عربي) (طرابلس : جروس برس ١٩٩٥م) .
- ١٠- كي لسترينج : بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، كوركيس عواد (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .

١١ - ميخائيل عواد، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي . (بغداد : دار الرشيد للنشر ١٩٨١م).

ثالثاً : المجالات:

١ - كوركيس عواد، الدار المعزية من أشهر مباني بغداد في القرن الرابع للهجرة، مجلة سومر (١٠)، ج٢، (بغداد : ١٩٥٤م) .